

بهدف استخراج ما يُمكن استغلاله منها؛ لضرب الإسلام والتشكيك في عدالة أحكامه، مستغلين في ذلك ذبوع الجهل بالشريعة الذي استشرى في الأمة، وهو ما أبرز مصطلح المستشرقين.

ومن تلك النصوص التي اتخذها القوم ذريعة لإثارة التّعرات المجافية للإسلام:

الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري؛ حيث قال: "خرج رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - في أضحى أو فطر إلى المصلّى، فمرّ على النساء، فقال: ((يا معشر النساء، ما رأيّت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن))، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: ((أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟))، قلن: بلى، قال: ((فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصم؟))، قلن: بلى، قال: ((فذلك من نقصان دينها))؛ متفق عليه.

فادّعى الغرب - زوراً وجوّراً - أن الإسلام قد جار على المرأة، ولم يعترف بقدراتها العقلية، ولما كان للغرب أذنان في بلاد المسلمين، يروجون بجهل أو بسوء نية لأفكار التغريب والعلمنة والعولمة، انطلقت الحركات النسويّة التي خرجت من عباءة التغريب، من خلال قضية تحرير المرأة التي تولى كبرها قاسم أمين وهدى شعراوي وغيرهما منذ عقود طويلة مضت - انطلقت تنادي بحرية المرأة المسلمة، وصفّق لها أصحاب المآرب، وضعفاء النفوس الذين يلتمسون الرقيّ في الركون إلى الحياة الغربية، واستلهم الرشد الحضاري من ثقافتها.

ولا يتعارض مع ذلك حقيقة أخرى، ألا وهي ما أسهم به المسلمون الطيبون في الترويج - عن غير عمدٍ - لهذه الدّعوى، فكثير منهم قد فهم من ذلك الحديث أن مراد النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - هو تقرير نقص القدرات العقلية للمرأة؛ مما أصّل لدى المسلمين مفهوماً توارثته الأجيال من أن المرأة فاقدة الأهلية لإبداء الرأي، بل إن بعضهم بالغ في ذلك، وجعل الحق في خلاف ما تقوله المرأة مطلقاً؛ وهو ما أعطى الفرصة نوعاً ما للعلمائين والمستغربين في أن يطالبوا تصرّحاً أو تلويحاً بفتح الطريق أمام المرأة؛ لنيل حريتها عبر تنحية الشريعة عن مناحي الحياة. ولذا كان لا بُدّ من وقفات مع هذا الحديث تُبيّن الخلل المفاهيمي، الذي وقع فيه كثير من أهل الإسلام، ذلك أن الكثيرين قد مارسوا تطبيقات عملية لهذا المفهوم في الواقع منحت فرصة للمغرضين بالتحرك عبرها ضد الإسلام.

أولاً: ما المناسبة التي قيل فيها هذا الحديث النبوي الشريف؟

فالإجابة تظهر من خلال كلمات أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: "خرج رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - في أضحى أو فطر إلى المصلّى"، فللمناسبة إذاً كانت في العيد، فهل يعتمد النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - في مثل هذا اليوم إلى أن يغضّ من شأن النساء في هذه المناسبة البهيجة؟! المناسبة البهيجة؟!

**ثانيًا:** ومن ناحية صياغة الحديث، فليست صيغة تقرير قاعدة عامّة أو حكم عام، وإنما هي أقرب إلى التعبير عن تعجّب رسول الله من التناقض القائم في ظاهرة تغلّب النساء - وفيهن ضعف - على الرجال ذوي الحزم، ونحن نتساءل: **هل تحمل الصياغة معنى من معاني الملاحظة العامة للنساء خلال العظة النبوية؟**

إنّ كلمة "ناقصات عقل ودين" إنّما جاءت مرة واحدة، وفي مجال إثارة الانتباه والتمهيد اللطيف لعظة خاصة بالنساء، ولم تحيَ قطّ مستقلة بصيغة تقريرية، سواء أمام النساء أم أمام الرجال؛ [المرأة في موكب الدعوة، مصطفى الطحان، ص(12)، نقلاً عن تحرير المرأة في عصر الرسالة].

**ثالثًا:** قوله - صَلَّى الله عليه وسلّم - : ((ناقصات عقل ودين)) حدّد النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - تفسيره بأمر محدد، وهو ما يعتريها من ترك الصيام والصلاة في الحيض والنفاس، فهذا نقصٌ جزئيٌّ محصور في بعض العبادات، وليس على الدوام، فليس هذا قدحاً فيها أو منقصة؛ يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - : "ولكن هذا النقص ليست مؤاخذهً عليه، وإنما هو نقص حاصلٌ بشرع الله - عزّ وجلّ - وهو الذي شرعه - سبحانه وتعالى - رفقا بها وتيسيراً عليها؛ لأنّها إذا صامت مع وجود الحيض والنفاس أضرها ذلك."

إلى أن قال - رحمه الله - : "ولا يلزم من هذا أن يكون نقص عقلها في كل شيء، ونقص دينها في كل شيء، وإنما بيّن الرسول - صَلَّى الله عليه وسلّم - أنّ نقصان دينها من جهة ما يحصل لها من ترك الصلاة والصوم في حال الحيض والنفاس."

**ولا يلزم من هذا أن تكون أيضاً دون الرجال في كل شيء، وأنّ الرجل أفضل منها في كل شيء،** نعم جنس الرجال أفضل من جنس النساء في الجملة... لكن قد تفوّقه في بعض الأحيان في أشياء كثيرة، فكم من امرأة فاقت كثيراً من الرجال في عقلها ودينها وضبطها، وقد تكثرت منها الأعمال الصالحات، فتربو على كثير من الرجال في عملها الصالح، وفي تقواها الله - عزّ وجلّ - وفي منزلتها في الآخرة، وقد تكون لها عناية ببعض الأمور، فتضبط ضبطاً كثيراً أكثر من ضبط بعض الرجال في كثير من المسائل التي تُعنى بها وتجتهد في حفظها وضبطها؛ [مجلة البحوث الإسلامية، 100/29 - 102].

**رابعًا:** باستقراء التاريخ وملاحظة الواقع يستبعد احتمال فهم نقصان العقل على أنّه نقص فطري في القدرات العقلية والإمكانات الذهنية.

**خامسًا -** وهو متعلق بما قبله - : أنّ التاريخ قد أثبت أنّ النساء قد فُقن الرجال أحياناً في القدرات العقلية، ومن ذلك: قبول رواية المرأة، فلا فرق في رواية الحديث بين رجل وامرأة طالما كانت عدلاً، فهذا هو أم المؤمنين عائشة سادت النساء والرجال بكثرة روايتها عن رسول الله، وبغزارة علمها؛ "قال الحافظ الذهبي: لم يؤثر عن امرأة أنّها كذبت في حديث، وقال الشوكاني: لم ينقل عن أحد من العلماء أنّه رد خبر امرأة لكونها امرأة، فكم من سنة قد تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة!"؛ [نقلاً عن المرأة في موكب الدعوة، ص(14)].

ونقل القرآن عن النساء ما يُفيد رجاحة عقولهن؛ كقوله - تعالى - عن ابنة شعيب وهي تُحدّث أباه عن موسى - عليه السلام - : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]، وهي لم تر موسى من قبل، فدل ذلك على رجاحة عقلها وصدق فراستها.

ومن ذلك رجاحة عقل أم سلمة - رضي الله عنها - ففي صلح الحديبية "لما فرغ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - من كتابة المعاهدة، قال للمسلمين: ((قوموا، فانحروا، ثم احلقوا)) وقالها ثلاثاً، فلم يثم أحد، فغضب الرسول - صَلَّى الله عليه وسلّم - ودخل على أم سلمة، فذكر

لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ أخرج، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بُذْنَكَ، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام الرسول - صَلَّى الله عليه وسلّم - وأخرج فلم يكلم أحداً حتى نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلمّا رأى الناس ذلك قاموا فنحروا إبلهم، وجعل بعضهم يخلق لبعض، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً؛ [رواه البخاري، (2731)].

والتاريخ يزخر بِنُسوة اشتهر عنهن راحة العقل والحكمة والفهم والعلم، ومنهن:

**الشفاء بنت عبد الله القرشية:** وكانت مثلاً في العلم وراحة العقل؛ قال لها النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - : ((علمي حفصة رُقيّة النملة، كما علّمها الكتاب))؛ [صححه الألباني في صحيح الجامع، (7475)]، وكان الخلفاء من بعد النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - يحرصون على استشارتها.

**فاطمة بنت محمد السمرقندي:** عالمة فقيهة محدّثة، أخذت عن جملة الفقهاء، وأخذ عنها الكثيرون، وتصدّرت للتدريس، وكان زوجها الكاساني ربّما يهيم بالفتيا، فتعرّفه الصواب ووجه الخطأ.

**ست الوزراء بنت عمر التنوخية:** محدّثة ذات أخلاق فاضلة، حدثت بدمشق ومصر، وهي آخر من حدثت بالمسند بالسّماع، وحدث عنها كثير من العلماء، كالصالح والذهبي؛ [شخصية المرأة المسلمة، خالد عبدالرحمن العك، ص(412 - 414)، بتصرف واختصار].

وغير هؤلاء الكثير ممن كانت لهن صفحات مُضيئة في تاريخ الإسلام، واشتهرن براحة العقل والفهم العميق؛ ممّا يشهد لما تقدم من استبعاد احتمال أن يكون مقصد النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - أن يكون نقصان عقل المرأة هو نقص في القدرات العقلية بوجه عام، أو أنها فاقدة الأهلية من الناحية العقلية، وإنّما يصدق هذا الادعاء في حق الحضارة الغريبة، التي كانت ولا زالت تعتبر المرأة متاعاً رخيصاً، وأداة للهو والتسلية، فلا تحترم كرامتها، ولا تحفظ عليها إنسانيتها.

**فالمرأة عند اليونان:** كانت فاقدة الحرية، مسلوية الإرادة، ليس لها حقوق ولا أهلية.

**والمرأة عند الرومان:** لا حق لها في شيء، وللرجل كل شيء، حتى إنّه يستطيع أن يحكم على زوجته بالإعدام في بعض التّهم، وليس ملزماً بضم أبنائه إلى أسرته، وقد يضم غير بنيه من الأجانب إلى الأسرة.

لقد عبر أحد الكتاب الاجتماعيين عن ذلك بأنّ عقد الزواج عند الرومان كان عقد رقيّ بالنسبة للمرأة، وقبل ذلك كانت في رق أبيها.

**والمرأة عند الهنود:** كانت ظلاً للرجل تحيا بحياته، وتُحرق بعد مماته، وهي حسب الشرائع المستمدة من أساطير **مانو** (لا تعرف السلوك السوي ولا الشرف ولا الفضيلة، وإنّما تحب الشهوات الدنسة والزينة والتمرّد والغضب).

**والمرأة عند اليهود:** كانت خادمة ليس لها حقوق أو أهلية، وكانوا لا يُورثون البنت أصلاً؛ حفظاً لقوام العائلات على التعاقب، ويرون المرأة إذا حاضت تكون نجسة تنجس البيت وكل ما تلمسه من طعام أو إنسان أو حيوان يكون نجساً؛ لذا فإنّهم يعتزلونها عند الحيض اعتزالاً تاماً، وبعضهم يفرض عليها الإقامة خارج البيت حتى تطهر، وكان بعضهم ينصب لها خيمة، ويضع أمامها خبزاً وماءً، ويجعلها في هذه الخيمة حتى تطهر.

**والمرأة عند النصارى:** هي باب الشيطان، وسلاح الإغراء والفتنة، وقد أصدر البرلمان الإنجليزي قرارًا في عصر هنري الثامن ملك إنجلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد؛ لأنها تُعَدُّ بَحْسَةً، وفي عام 1586م عقد بعض القساوسة مجتمعا لبحث قضية المرأة، وبعد محاولاته الطويلة والعريضة قرر المجتمعون أن المرأة إنسان، ولكنها خلقت لخدمة الرجل.

**والمرأة عند الفرس:** كانت خاضعة للتيارات الدينية الثلاثة، فمن الزرادشتية إلى المانوية إلى المزدكية، وقد تركت كل ديانة من هذه الديانات بصماتها الواضحة على كيان الأسرة والمجتمع.

ولقد ذهب مزدك وأصحابه إلى أن الله - تعالى - إنما جعل الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتساوي، ولكن الناس تظالموا فيها؛ لذا فمن كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة، فليس هو بأولى من غيره.

**أما المرأة عند العرب قبل الإسلام:** فكان يُنظر إليها في العصور الجاهلية نظرة ازدراء، وكان الرجال يتشاءمون من المرأة، ويعدونّها سلعةً تباع وتُشتري لا قيمة لها ولا مقام، كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "والله إنا كنا في جاهلية ما نعير للنساء أمرًا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم".

**أما المرأة في الإسلام:** فكان من فضل الإسلام عليها أنه كَرَّمَهَا، وأكَّـد إنسانيتها، وأهليتها للتكليف والمسؤولية والجزاء ودخول الجنة، واعتبرها إنسانًا كَرَمًا له كل ما للرجل من حقوق إنسانية؛ لأنَّهما فرعان من شجرة واحدة، وأخوان ولدهما أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء.

**فهما متساويان في أصل النشأة، ومتساويان في الخصائص الإنسانية العامة، ومتساويان في التكليف والمسؤولية، ومتساويان في الجزاء والمصير، ولا قوام للإنسانية إلا بهما؛** [حقوق المرأة في ظل المتغيرات المعاصرة، د. مسفر بن علي القحطاني، ص(5 - 6) باختصار.]

وها هي الأقلام الغربية المنصفة تشهد لأمة الإسلام بمدى احترامها لعقلية المرأة وذاتها، والمكانة التي حظيت بها المرأة في ظلال الإسلام:

يقول المفكر والقانوني الفرنسي "مارسيل بوازار": "كانت المرأة تتمتع بالاحترام والحرية في ظل الخلافة الأموية بإسبانيا، فقد كانت يومئذ تشارك مشاركة تامة في الحياة الاجتماعية والثقافية، وكان الرجل يتودد لـ **السيدة**؛ للفوز بالخطوة لديها، إنَّ الشعراء المسلمين هم الذين علّموا مسيحيي أوروبا عبر إسبانيا احترام المرأة؛ [إنسانية الإسلام، ص(108)].

وتقول الباحثة الإيطالية "لورا فيشيا": "إذا كانت المرأة قد بلغت - من وجهة النظر الاجتماعية في أوروبا - مكانة رفيعة، فإنَّ مركزها شرعيًا - على الأقل - كان حتى سنوات قليلة جدًا، ولا يزال في بعض البلدان أقل استقلالاً من المرأة المسلمة في العالم الإسلامي.

إنَّ المرأة المسلمة إلى جانب تمتّعها بحق الوراثة مثل إخوتها، ولو بنسبة صغيرة، وبحقها في أن لا تزف إلى أحد إلا بموافقتها الحرة، وفي أن لا يسيء زوجها معاملتها - تتمتع أيضًا بحق الحصول على مهر من الزوج، وبحق إعالته إياها، وتتمتع بأكمل الحرية، إذا كانت مؤهلة لذلك شرعيًا في إدارة ممتلكاتها الشخصية؛ [دفاع عن الإسلام، ص(88)].

وها هو الناقد الفني الإنجليزي " روم لاندو " يشهد على عالمه الغربي باحتقار المرأة وإهدار مكانتها، وشهادة أخرى لما حظيت به من مكانة في ظل الإسلام، فيقول: "يوم كانت النسوة يُعتبرنَ في العالم الغربي مجردَ متاع من الأمتعة، ويوم كان القوم هناك في ريب جدي من أنَّ لهنَّ أرواحاً، كان الشرع الإسلامي قد منحهن حقَّ التملك.

**وتلقت الأرملة نصيباً من ميراث أزواجهن، ولكن البنات كان عليهن أن يقنعن بنصف حصة الذكر،** إلا أن علينا أن لا ننسى أن الأبناء الذكور وحدهم كانوا - حتى فترة حديثة نسبياً - ينالون في الديار الغربية حصةً من الإرث"؛ [الإسلام والعرب، ص203).

فيعلم من ذلك أنَّ الإسلام له السَّبق في احترام المرأة وقدراتها وإمكاناتها، فضلاً عن إنسانيتها وآدميتها، وأنها على عكس ما يتردد على ألسنة المغرضين والجُفَّال من أنها قد سلبت تقدير عقلها.

**معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :** (مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ ، قُلْنَ : وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ ؟ قُلْنَ : بَلَى ، قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا ، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ ؟ قُلْنَ : بَلَى ، قَالَ : فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا) بيَّن صلى الله عليه وسلم أن نقصان عقلها من جهة ضعف حفظها ، وأن شهادتها تُجَبَّرُ بشهادة امرأة أخرى ، وذلك لضبط الشهادة ، بسبب أنها قد تنسى ، فتزيد في الشهادة أو تنقصها ، كما قال سبحانه : (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) البقرة/282.

وأما نقصان دينها فلا أنها في حالة الحيض والنفاس تدع الصلاة ، تدع الصوم ، ولا تقضي الصلاة ، فهذا من نقصان الدين ، ولكن هذا النقص ليست مؤاخذه عليه ، وإنما هو نقص حاصل بشرع الله عز وجل ، هو الذي شرعه عز وجل رفقا بها ، وتيسيراً عليها ؛ لأنها إذا صامت مع وجود الحيض والنفاس يضرها ذلك ، فمن رحمة الله شرع لها ترك الصيام وقت الحيض والنفاس ، والقضاء بعد ذلك.

وأما الصلاة فإنها حال الحيض قد وجد منها ما يمنع الطهارة ، فمن رحمة الله جل وعلا أن شرع لها ترك الصلاة ، وهكذا في النفاس ، ثم شرع لها أنها لا تقضي ، لأن في القضاء مشقة كبيرة ، لأن الصلاة تتكرر في اليوم خمس مرات ، والحيض قد تكثر أيامه ، فتبلغ سبعة أيام أو ثمانية أيام أو أكثر ، والنفاس قد يبلغ أربعين يوماً ، فكان من رحمة الله لها وإحسانه إليها أن أسقط عنها الصلاة أداء وقضاء ، ولا يلزم من هذا أن يكون نقص عقلها في كل شيء ، ونقص دينها في كل شيء ، وإنما بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم أن نقص عقلها من جهة ما قد يحصل من عدم الضبط للشهادة ، ونقص دينها من جهة ما يحصل لها من ترك الصلاة والصوم في حال الحيض والنفاس ، ولا يلزم من هذا أن تكون أيضاً دون الرجل في كل شيء ، وأن الرجل أفضل منها في كل شيء.

نعم ، جنس الرجال أفضل من جنس النساء في الجملة ، لأسباب كثيرة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) النساء/34 ، لكن قد تفوقه في بعض الأحيان في أشياء كثيرة ، فكم لله من امرأة فوق كثير من الرجال في عقلها ودينها وضبطها ، وإنما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جنس النساء دون جنس الرجال في العقل وفي الدين من هاتين الحيتين اللتين بينهما النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد تكثر منها الأعمال الصالحات فتزبو على كثير من الرجال في عملها الصالح ، وفي تقواها لله عز وجل ، وفي منزلتها في الآخرة ، وقد تكون لها عناية في بعض الأمور فتضبط ضبطاً كثيراً أكثر من ضبط بعض الرجال في كثير من المسائل التي تعنى بها ، وتجتهد في حفظها وضبطها

فتكون مرجعاً في التاريخ الإسلامي وفي أمور كثيرة ، وهذا واضح لمن تأمل أحوال النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد ذلك .  
وبهذا يعلم أن هذا النقص لا يمنع من الاعتماد عليها في الرواية ، وهكذا في الشهادة إذا انجبرت بامرأة أخرى ، ولا يمنع أيضاً تقواها لله ، وكونها من خيرة عباد الله ، ومن خيرة إماء الله إذا استقامت في دينها ، وإن سقط عنها الصوم في الحيض والنفاس أداء لا قضاء ، وإن سقطت عنها الصلاة أداء وقضاء ، فإن هذا لا يلزم منه نقصها في كل شيء من جهة تقواها لله ، ومن جهة قيامها بأمره ، ومن جهة ضبطها لما تعني به من الأمور ، فهو نقص خاص في العقل والدين ، كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا ينبغي للمؤمن أن يرميها بالنقص في كل شيء ، وضعف الدين في كل شيء ، وإنما ضعف خاص بدينها ، وضعف في عقلها فيما يتعلق بضبط الشهادة ونحو ذلك ، فينبغي إنصافها ، وحمل كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، على خير المحامل وأحسنها . والله تعالى أعلم " انتهى .

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

مجلة البحوث الإسلامية) 100/29 - 102 . (

### لماذا عدد النساء أكبر من عدد الرجال في جهنم ؟ .

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن النساء هن أكثر أهل النار فعن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ) . رواه البخاري 3241 ومسلم 2737.

أما سبب ذلك فقد سُئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم وَبَيَّنَّ الجواب:

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( أُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرْ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ ) (قَالُوا :يَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ) : بِكُفْرِهِنَّ ( قِيلَ :يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ، قَالَ ) : يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ ( رواه البخاري 1052.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَى أَوْ فِطْرِ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ ( يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ) فَقُلْنَ : وَيَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ( تُكْفِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَارِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ ) قُلْنَ : وَمَا نُفْصَانُ دِينَنَا وَعَقْلُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ( أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ نَصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ ) قُلْنَ : بَلَى ، قَالَ ) : فَذَلِكَ مِنْ نُفْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ ) قُلْنَ : بَلَى ، قَالَ : ( فَذَلِكَ مِنْ نُفْصَانِ دِينِهَا ) رواه البخاري 304.

وعن جابر بن عبد الله قال : شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْعِيدِ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ بَعِيرٌ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلَالٍ فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ وَوَعِظَ النَّاسَ وَذَكَرَهُمْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ فَوَعِظَهُنَّ وَذَكَرَهُنَّ فَقَالَ : ( تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ حَطَبٌ جَهَنَّمَ ) فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْخُدَّيْنِ فَقَالَتْ : لَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ( لِأَنَّكُمْ تُكْفِرْنَ الشَّكَاةَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ) قَالَ : فَجَعَلَنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ مِنْ أَقْرِطِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ . رواه مسلم 885.

وينبغي على الأخوات المؤمنات اللاتي يعلمن بهذا الحديث أن يكون تصرفهن كتصرف هؤلاء الصحابيات اللاتي لما علمن بهذا عملن من الخير ما يكون بإذن الله سبباً في إبعادهن من أن يدخلن ضمن هؤلاء الأكثر.



فنصيحتنا للأخوات الحرص على التمسك بشعائر الإسلام وفرائضه لاسيما الصلاة والبعد عما حرمه الله سبحانه وتعالى وبخاصة الشرك بصوره المتعددة التي تنتشر في أوساط النساء مثل طلب الحاجات من غير الله وإتيان السحرة والعرافين ونحو ذلك.

نسأل الله أن يبعدنا وجميع إخواننا وأخواتنا عن النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

### الشيخ محمد عبد الغفار الشريف يقول :

هذه المسألة يكثر اللغط حولها، ويحاول أعداء الإسلام أن يطعنوا في الإسلام من خلالها، ويصوروا أن الإسلام يهين المرأة، ولذا رأيت يحسن التوسع فيها نوعاً ما، ورأيت من أحسن من كتب فيها الأستاذ عبد الحليم أبو شقة -رحمه الله-، لذا حاولت اختصار كلامه، واستدراك بعض الأمور التي نددت عنه- فجعل من لا يخطيء:-

جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: خرج رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في أضحية أو في فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: "يا معشر النساء... ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن". قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: "أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟" قلن: بلى. قال: "فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟" قلن: بلى. قال: "فذلك من نقصان دينها".

### سنعرض لهذا الحديث من ثلاث زوايا:

الزاوية الأولى: الدلالة العامة لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن":

النص يحتاج إلى دراسة وتأمل سواء من ناحية المناسبة التي قيل فيها أو من ناحية من وجه إيهن الخطاب أو من حيث الصياغة التي صيغ بها الخطاب، وذلك حتى نتبين دلالة على معالم شخصية المرأة. فمن ناحية المناسبة فقد قيل النص خلال عظة للنساء في يوم عيد، فهل نتوقع من الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم أن يغض من شأن النساء أو يحط من كرامتهن أو ينتقص من شخصيتهن في هذه المناسبة البهيجة!!

وأما من ناحية من وجه إليه الخطاب فقد كن جماعة من نساء المدينة، وأغلبهن من الأنصار اللاتي قال فيهن عمر بن الخطاب: (فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار)، وهذا يوضح لماذا قال الرسول الكريم: "ما رأيت أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن".

أما من حيث صياغة النص فليست صيغة تقرير قاعدة عامة أو حكم عام. وإنما هي أقرب إلى التعبير عن تعجب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من التناقض القائم في ظاهرة تغلب النساء -وفيهن ضعف- على الرجال ذوي الحزم. أي التعجب من حكمة الله!. كيف وضع القوة حيث فطنة الضعف وأخرج الضعف من مظنة القوة!

لذلك، نتساءل هل تحمل الصياغة معنى من معاني الملائمة العامة للنساء خلال العظة النبوية؟ وهل تحمل تمهيداً لطيفاً لفقرة من فقرات العظة وكأنها تقول: أيتها النساء إذا كان الله قد منحكن القدرة على الذهاب بلب الرجل الحازم برغم ضعفكن فائقين الله ولا تستعملنها إلا في الخير والمعروف.

وهكذا كانت كلمة "ناقصات عقل ودين" إنما جاءت مرة واحدة وفي مجال إثارة الانتباه والتمهيد اللطيف لعظة خاصة بالنساء، ولم تجيء قط مستقلة في صيغة تقريرية سواء أمام النساء أو أمام الرجال.

والزاوية الثانية: هي الدلالة الخاصة لقوله —صلى الله عليه وسلم—: "ناقصات عقل":

هناك عدة احتمالات للنقص العقلي، مثل:

(أ) نقص (فطري عام) أي في متوسط الذكاء .

(ب) نقص (فطري نوعي) أي في بعض القدرات العقلية الخاصة مثل، الاستدلال الحسابي والتخيل والإدراك.

(ج) نقص (عرضي نوعي قصير الأجل) وهذا يطرأ على الفطرة مؤقتاً نتيجة ظرف عارض (مثل دورة الحيض أو مدة النفاس أم بعض فترات الحمل).

(د) نقص (عرضي نوعي طويل الأجل) وهذا يطرأ على الفطرة نتيجة ظروف معيشية خاصة كالانشغال بالحمل والولادة والرضاعة والحضانة، هذا مع الانحصار بين جدران البيت لا تكاد تغادره والانقطاع تماماً عن العالم الخارجي مما يؤدي إلى ضمور الوعي بمجالات الحياة وضعف الإدراك لقضايا المال وغيرها.

إن المثال الذي ضربه الرسول الكريم للنساء على نقص العقل يساعد على ترجيح النقص النوعي سواء أكان فطرياً أم عرضياً. وأياً كان مجال النقص فهو لا يחדش قواها العقلية وقدرتها على تحمل جميع مسئولياتها الأساسية. ومن هذه المسئوليات ما تختص به وهو حضانة الأطفال، وهذه ما كان الله لسندها إلا لإنسان سوي.

وما كان لنا نحن الرجال أن نأمن على أبنائنا وبناتنا في كنف إنسان عاجز مختل العقل والدين!!!

ومن المسئوليات ما تشارك فيه المرأة الرجل مثل الأمور الآتية:

(أ) المسئولية الإنسانية: أي تحمل الإنسان مسئولية عمله ومحاسبته عليها في الآخرة وهذه مقررّة في الكتاب العزيز.

(ب) المسئولية الجنائية وتحمل العقوبات الجزائية في الدنيا عن السلوك المنحرف وهذه مقررّة في الكتاب العزيز.

(ج) المسئولية المدنية وحق التصرف في الأموال وعقد العقود والولاية على القصر وهذه يقرها عامة الفقهاء بأدلتها من الكتاب والسنة.

(د) مسئولية تولي القضاء في الأموال وهذه يقرها أبو حنيفة.

(هـ) مسئولية رواية السنة المبينة للكتاب، وهذه يجمع عليها علماء المسلمين.



وإذا كان النقص النوعي - أي الخلقي - هو الأرجح فالاحتمالات الثلاثة الأخيرة واردة ولا تعارض بينها بل ربما تبادلت التأثير. فمن حيث وجود النقص الفطري في بعض القدرات العقلية الخاصة مثل استيعاب قضايا المال والأرقام وهي القدرة المنصوص عليها في الآية الكريمة: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} البقرة-282.

فهذا النقص إن لم يكن فطرياً منذ الولادة ومميزاً للأثنى عن الذكر كما تتميز في بعض أعضاء البدن، فهو كسبي في مرحلة ما بعد البلوغ، بتأثير التطورات المتعلقة بأعضاء الجنس في مرحلة الزواج والأمومة، أي مع اكتمال دور أعضاء الجنس وما ينتج عنه من حمل وولادة وإرضاع، هذا من جانب، ومع اكتمال الحياة الاجتماعية المتميزة للمرأة من جانب آخر. ويشجعنا على هذا الرأي التفاعل المشاهد عادة بين الحياة البيولوجية والاجتماعية من ناحية والحياة العقلية من ناحية أخرى.

ومن مظاهر هذا التفاعل ما يقع في حالة شهادة المرأة كأن يغلب عليها الجانب العاطفي الانفعالي أو حيث تعتبرها فترات حرجة (مثل فترة الحيض) أو حين يثقلها الحمل والإرضاع والحضانة، فضلاً عن رعاية البيت. ثم إن الحديث النبوي يشير إلى النقص الذي تتصف به المرأة ولكنه لا يحدد المرحلة، وكأن تحديد المرحلة متروك للجهد البشري والبحث العلمي الرصين.

**على أنه ينبغي التنبيه هنا إلى أمور ثلاثة:**

أولها، أن النقص النوعي في إحدى القدرات الخاصة قد يقابله زيادة في قدرة أو قدرات أخرى.

وثانيها، أن النقص هنا يتعلق بالنساء على العموم وهذا لا يمنع وجود بعض نساء قد وهبهن الله قدرات عالية بل وخارقة أحياناً في نفس المجالات التي ينقص فيها مستوى عامة النساء كما لا يمنع أن يكون أولئك النسوة أفضل من كثير من الرجال.

يقول ابن تيمية:... فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص فرب حبشي أفضل عند الله من جمهور قريش.

ويقول في موضع آخر:... فهذا الأصل يوجب أن يكون جنس الحاضرة أفضل من جنس البادية، وإن كان بعض أعيان البادية أفضل من أكثر الحاضرة.

وثالثها، إذا كان النقص النوعي الفطري أو العرضي نتيجة بعض وظائف الأعضاء مما كتبه الله على بنات آدم. وهو أمر صالح يعين على تحقيق كل من الرجل والمرأة دوره في الحياة، فإن الحياة الرتيبة المنعزلة وراء جدران البيت هو أمر خطر على حياة المرأة وحياة الأسرة وحياة المجتمع كله، إنه خطر يكاد يذهب بعقل المرأة كله، وتكاد تصبح معه كالسائمة لا تملك من أمرها شيئاً ولا تدري مما يجري حولها شيئاً.

فيضعف تبعاً لذلك دورها في تربية أبنائها وينعدم - تبعاً لذلك أيضاً - دورها في إنحاض مجتمعتها بنشاط اجتماعي أو سياسي.

ونظراً إلى أن الحديث يشير إلى نقص الشهادة، فيحسن أن ننقل أقوال الفقهاء حول شهادة المرأة. فقد ورد في فتح الباري: (قال ابن المنذر: أجمع العلماء على القول بظاهر هذه الآية: {وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ} البقرة-282، فأجازوا شهادة النساء مع الرجال.

وخص الجمهور ذلك بالديون والأموال وقالوا لا تجوز شهادتهم في الحدود والقصاص واختلفوا في النكاح والطلاق والنسب والولاء. فمنعها الجمهور وأجازها الكوفيون... واتفقوا على قبول شهادتهم مفردات فيما لا يطلع عليه الرجال كالحيض والولادة والاستهلال وعيوب النساء واختلفوا في الرضاع.

وورد في بداية المجتهد لابن رشد: (فالذي عليه الجمهور أنه لا تقبل شهادة النساء في الحدود... وقال أهل الظاهر: تقبل إذا كان معهن رجل وكان النساء أكثر من واحدة في كل شيء على ظاهر الآية. وقال أبو حنيفة: تقبل في الأموال وفيما عدا الحدود من أحكام الأبدان مثل الطلاق والرجعة والنكاح والعق، ولا تقبل عند مالك في حكم من أحكام البدن...).

وأما شهادة النساء مفردات أعنى النساء دون الرجال فهي مقبولة عند الجمهور في حقوق الأبدان التي لا يطلع عليها الرجال غالباً، مثل الولادة والاستهلال وعيوب النساء ولا خلاف في شيء من هذا إلا في الرضاع.

وقال ابن القيم: ... والمرأة العدل كالرجل في الصدق والأمانة والديانة، إلا أنها لما خيف عليها السهو والنسيان قويت بمثلها، وذلك قد يجعلها أقوى من الرجل الواحد أو مثله، ولا ريب أن الظن المستفاد من [شهادة مثل أم الدرداء وأم عطية، أقوى من الظن المستفاد من رجل واحد] دونهما ودون أمثالهما.

وأخيراً نحسب أن الأولى بنا - ونحن في القرن الخامس عشر الهجري (والعشرين الميلادي) - أن نسهم في البحوث العلمية التي تجري لتحديد قدرات المرأة لنعرف بالضبط ما هو مجال النقص وما هي درجته وما هو زمن ظهوره وما هي نسبة وجوده بين النساء، ولنعرف أيضاً مجال الزيادة ودرجتها وزمن ظهورها وبذلك نخدم سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - خدمة كبيرة. وكما خدمها أسلافنا بابتكار علم مصطلح الحديث لمعرفة الصحيح من الضعيف يمكن أن نخدمها نحن خدمة تناسب عصرنا، وذلك بإجراء بحوث علمية ميدانية تساعد في التحري عن دلالة بعض النصوص.

وعندها لا نكتفي بسوق مجموعة احتمالات حول الدلالة ثم الترجيح بينها ترجيحاً نظرياً يعتمد على تصورات ذاتية قاصرة وظنون، وإنما نقدم الدلالة التي يرححها البحث العلمي الميداني وقد تكون هذه الدلالة مما لم يخطر على عقولنا في أثناء البحث النظري.

وإلى أن يقوم المسلمون ببحوث علمية رصينة للتعرف على الخصائص العقلية والنفسية لكل من الرجل والمرأة، أنقل فقرات من مرجع حديث في علم النفس لعلها تلقى بعض الضوء على هذا الموضوع:

\*(الفروق بين الجنسين... تنطبق فقط على المجتمع الذي عملت فيه هذه البحوث تحت الظروف الخاصة بهذا المجتمع. وعلى ذلك فهي غير صالحة للتطبيق بوجه عام، ولكن مع ذلك، فلن نعدم وسيلة للاستفادة الجزئية ببعض ما جاء فيها).

\*(الواقع أن أية مقارنة بين الجنسين تقوم فقط على النتائج الكلية لاختبارات الذكاء يحتمل أن تسفر عن نتائج غامضة، إذ أن الإناث يتفوقن في بعض القدرات، والذكور يتفوقون في قدرات أخرى.

وعلى ذلك، ففي أي اختبار للذكاء يتكون من أنواع غير متجانسة من الأسئلة، فإننا نتوقع أن التفوق في ناحية سيقابله ضعف في ناحية أخرى، وبذلك لا نخرج بنتيجة... وإن اختبارات الذكاء وحدها أي الدرجات الكلية التي يحصل عليها الأفراد في هذه الاختبارات لا تصلح بمفردها للحكم على الفروق بين الجنسين).

وهذا يفيد أن الفروق غير واضحة بين الرجل والمرأة في مستوى الذكاء العام وواضحة في القدرات الخاصة.

\*(وقد يكون أجدى لنا أن نبحث الفروق الجنسية في القدرات الخاصة، ويمكننا الوقوف على بعض المعلومات المهمة من تحليل نتائج الاختبارات الفرعية التي يتكون منها عدد كبير من اختبارات الذكاء. وباتباع الطريقة الأولى أي المقارنة بين الجنسين في القدرات الخاصة، تجمعت كمية كبيرة من الحقائق في مختلف البحوث التي استخدمت مقاييس للقدرات اللفظية والعديدية والمكانية وغير ذلك من القدرات المستقلة نسبياً... ومن الملاحظات المهمة في هذا الصدد أن الفروق بين الجنسين في هذه النواحي تتأخر في ظهورها عن القدرات الأخرى).

\*(يتفوق الذكور في الاختبارات العددية التي تتطلب الاستدلال، ولا تظهر هذه الفروق بوضوح بين الجنسين إلا بعد انقضاء فترة في المرحلة الأولى للتعليم. وحينما طبق اختبار ستانفورد-بينيه، تفوق البنون بقدر له دلالة وكان ذلك واضحاً في مسائل الاستدلال الحسابي).

\*(كثير من البحوث التي استخدم فيها مقاييس التقدير الذاتي للشخصية، والتي طبقت على مجموعة من الذكور والإناث الكبار، بينت أن هناك فروقاً بين الجنسين في النواحي الانفعالية... وكان من نتائج تطبيق (أحد البحوث) أنه تبين أن الرجال بالتأكيد أكثر ثباتاً من النساء، وأنهم أقل تعرضاً للعصاب... وما يسترعي النظر أن اختبارات الاستعدادات والاتجاهات العصابية للأفراد الأصغر سناً، أثبتت أنه لا توجد فروق بين أفراد الجنسين الذين تقل أعمارهم عن الرابعة عشر...).

وهذا يفيد تأخر ظهور بعض الفروق إلى مرحلة ما بعد البلوغ سواء في بعض القدرات العقلية كالاستدلال الحسابي أو بعض سمات الشخصية كالجانب الانفعالي.

\*(وقد تبين من هذا البحث أن الإناث حصلن على أعلى المتوسطات في كل من الميل الاجتماعي والجمالي والديني، في حين اتضح اهتمام الذكور بالميل الاقتصادي والنظري والسياسي. وطبيعي أن هذه النتائج يمكن تفسيرها في ضوء الظروف البيئية واختلاف التقاليد عند الجنسين وما ينتظره المجتمع من كل من الفريقين...).

\*(ومن البحوث الشاملة في مشكلة الفروق بين الجنسين في سمات الشخصية، بحث ترمان ومايلز. وما وصلا إليه من مقياس (لتحليل الميل والاتجاهات).

ويتكون هذا المقياس من مجموعات من الأسئلة وضعت لكي تميز إلى أقصى حد ممكن بين الاتجاهات العامة في ردود كل من الرجال والنساء على الأسئلة، وبذلك فهي تعتبر مقياساً لمدى (الذكورة والأنوثة) وقد بني هذا المقياس على أساس دراسات طويلة ومستفيضة للغاية، وانتقيت الأسئلة انتقاء دقيقاً، بحيث شمل المقياس تلك الأسئلة التي بينت بوضوح تام أن هناك فروقاً بين أفراد الجنسين الذين يعيشون في المجتمع الأمريكي.

وقد جمعت البيانات من عدة مئات من الأفراد كان من بينهم أطفال بالمدارس الأولية والثانوية والمعاهد العليا والخريجين، وكان من بينهم أيضاً أشخاص كبار من غير المتعلمين ومن المتعلمين ومن أصحاب مختلف المهن، كما اشتملت العينات أيضاً على بعض مجموعات اختيرت من بين الأحداث المشردين، والكبار المنحرفين جنسياً، والرياضيين.

وقد كان لكل ذلك أثره في أن المقياس أثبت نجاحاً فائقاً في التمييز بين إجابات الرجال وإجابات النساء في المجتمع الأمريكي. وقد وجد في الوقت نفسه أن معامل الذكورة والأنوثة مرتبط إلى حد كبير بعوامل الخبرة المكتسبة من التربية والتعليم في المنزل أو في العمل... ووجد أن تأثير هذه العوامل أقوى من تأثير العوامل الجسمية.

كما اتضح أن النساء المتعلّقات تعليمياً عالياً، ولهن ثقافة متسعة يحصلن على درجات في هذه المقاييس أعلى من متوسط ما يحصل عليه النساء، وكأنهن بذلك يقتربن من الذكورة... ومعنى ذلك أن التربية والتعليم والخبرات التي يعانها الأفراد تقرب بين وجهات النظر عندهم وتقلل من الفروق في الصفات المزاجية بين الجنسين...).

**وهذا يفيد أن لظروف البيئة والعوامل الاجتماعية تأثيراً واضحاً ويزيد تأثيرها على تأثير العوامل الجسمية.**

\* (تبين أن هناك فروقاً كبيرة بين الجنسين في معظم الصفات الجسمية ومنها بناء الجسم بما في ذلك الهيكل العظمي، والتكوين العضلي العام سواء في ذلك العضلات الكبيرة أو الدقيقة. وكذلك يختلف الجنسان في الوظائف الفسيولوجية والتكوين الكيميائي لبعض الإفرازات، وربما يمكن أن ترجع بعض الاختلافات السيكلولوجية إلى تلك الفروق الجسمية...).

\* (وهناك فرق آخر بين الجنسين في ثبات كثير من الوظائف الجسمية. فالذكور بصفة عامة، أقل تعرضاً من الإناث للتقلبات التي تعترى توازن البيئة العضوية الداخلية، أي أنهم أكثر ثباتاً، ولهم بعض الصفات المهمة التي تميزهم، ومنها الثبات النسبي لدرجة الحرارة، واتزان عمليتي الهدم البناء، وثبات النسبة بين المواد الحامضة والمواد القلوية في الدم، وكذلك مستوى السكر في الدم.

ومن المرجح أن شدة التذبذب في بعض الوظائف الجسمية عند الإناث بالمقاييس إلى الذكور قد تؤثر في نمو بعض الفروق وفي النواحي الانفعالية والسلوك العصبي وما أشبه ذلك...).

\* (ومما لا شك فيه أن أساس الكثير من الفروق بين الجنسين يرجع إلى عوامل بيولوجية وحضارية مجتمعة... وإنه لمن المرجح أن العوامل البيولوجية وحدها تستطيع أن تسبب بعض الفروق في الصفات السيكلولوجية، حتى ولو كانت جميع الشروط البيئية واحدة. وفي الوقت نفسه، يجب أن نضع نصب أعيننا أن هناك احتمالاً بأن العوامل البيئية ربما تؤثر تأثيراً مضاداً تماماً لتأثير العوامل البيولوجية...).

**وهذه يفيد أن الفروق البدنية العضوية بين الجنسين كبيرة وأن لها تأثيراً أكيداً على النواحي النفسية ما لم تتدخل العوامل البيئية الاجتماعية تدخلاً قوياً فتحدث تأثيراً مضاداً.**

وبعد أن نقلنا فقرات من ذلك المرجع الحديث في علم النفس، نعود للحديث الشريف.

والزاوية الثالثة التي سنعرض لها من الحديث النبوي هي الدلالة الخاصة لقوله —صلى الله عليه وآله وسلم—:

إن الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- حين سئل عن نقص الدين ذكر أمراً محدداً وهو نقص الصلاة والصيام في أيام الحيض والنفاس، فهو من ناحية نقص جزئي محصور في العبادة بل في بعض الشعائر فحسب حيث تقوم الحائض والنفساء بأداء مناسك الحج جميعاً عدا الطواف بالبيت كما أنها لا تحجر ذكر الله، والدين القيم إيمان وتقوى تتبع الإيمان ثم عبادات ثم أخلاق ومعاملات.

وهو من ناحية ثانية نقص مؤقت أي ليس دائماً في حياة المرأة كلها وإنما يقع في فترات قصيرة ثم إن الحيض ينقطع مع الحمل وهو تسعة أشهر متصلة وينعدم مع سن اليأس، ومن ناحية ثالثة فإن النقص ليس من كسب المرأة واختيارها والمرأة المؤمنة قد تشعر بالأسى لحرماتها من الصلاة والصيام ولكنها ترضى وتصبر على أمر قد كتبه الله عليها فيثيبها الله على هذا الرضا وذاك الصبر.

وقد تقوم المرأة المؤمنة بنوعين من التعويض لما يفوتها من صلوات:

أولهما : تعويض عاجل بعبادات أخرى مثل الدعاء الضارع والذكر الخاشع فتستغفر الله وتسبحه وتحمده وتكبره، وهذا النوع من التعويض يذكرنا بما فعلته عائشة -رضي الله عنها- حين فرض الحجاب على أمهات المؤمنين فمنعن الجهاد وهو أفضل العمل، فكان حرصها على الحج هو التعويض عما فاتها من فريضة الجهاد.

فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: يا رسول الله ألا نغزو ونجاهد معكم؟ (وفي رواية: نرى الجهاد أفضل العمل) فقال: "لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج حج مبرور" فقالت عائشة: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

وثانيهما: تعويض آجل وذلك بالإكثار من صلاة النفل بعد الظهر من الحيض وهذا النوع الآجل يذكرنا بحرص عائشة على تعويض العمرة التي فاتتها بسبب الحيض.

قالت عائشة: دخل على النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وأنا أبكي فقال: "ما يبكيك؟" قلت: "...منعت العمرة (وفي رواية: قالت يا رسول الله: أيرجع الناس بأجرين وأرجع بأجر) قال: "وما شأنك؟" قلت: لا أصلي، قال: "لا يضرك أنت من بنات آدم كتب عليك ما كتب عليهن فكوني في حجتك عسى الله أن يرزقكها"، قالت: فكنت حتى نفرنا من منى فنزلنا المحصب فدعا عبد الرحمن فقال: "أخرج بأختك الحرم فلتهل بعمره".

وعلى ذلك نرى أنفسنا ملزمين بالوقوف عند حدود تفسير رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- للنقص لا نتعداه. أما إذا تجاوزنا هذه الحدود فسنخبط في متاهة الاحتمالات وربما خضنا في الأوهام، ونكون عندها قد وقعنا في محذور اتباع المتشابه. والمتشابه كما يقع في القرآن يمكن أن يقع في السنة وقد حذرنا الله تعالى فقال في محكم التنزيل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ آل عمران-7.

وما الأحاديث الموضوعة والضعيفة، التي تنم عن الارتياب في عقل المرأة ودينها -ويكثر تداولها على الألسنة- إلا أثراً من آثار شطحات الوهم، وأصل هذا الوهم من بقايا جاهليات قديمة كان ينبغي أن يبرأ منه المسلمون، لكنه تثبت -مع الأسف- نتيجة تجاوز حدود تفسير الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- لنقص العقل والدين.

وأدى ذلك إلى طغيان كثير من التصورات الباطلة عن شخصية المرأة.

**ومن هذه الأحاديث الموضوعة:**

-حديث: "لا تعلموهن الكتابة ولا تسكنوهن الغرف".

-حديث: "طاعة المرأة ندامة".

-حديث: "لولا النساء لعبد الله حقاً حقاً".

-حديث: "شاوروهن وخالفوهن".

**ومن الأحاديث والآثار الضعيفة:**

-حديث: "هلك الرجال حين أطاعت النساء".

-حديث: "أعدى عدوك زوجتك".

أثر موقوف عن عمر بن الخطاب: (خالفوا النساء فإن في خلافهن بركة).

( وفقة مع حديث ناقصات عقل ودين ) عادل مناع